مع المنظمات الصهيونية القائمة، بل انه قد تفرّد باقامة تنظيم صهيوني جمع فيه، باقتدار، بين اسس التنظيم السياسي السرّي، والهدف الصهيوني المتميّز، في غلالة علمية جذّابة حاكتها، فاحكمت نسيجها يد درية وعقل عبقري.

التنظيم الصهيوني الفرويدي

لعل القارىء لمؤلفات فرويد، بل لمؤلفات الرعيل الاول من اصحاب التحليل النفسي، لا يكاد يستبين شيئاً من ملامح ذلك التنظيم الصهيوني الذي نتحدث عنه. فهو جماعة من العلماء يكتبون في مجال جديد، وبرؤية جديدة. قد تستهويك رؤيتهم، أو قد تثير نفورك، ولكنها، غالباً، لن تثير ريبتك. وحتى لو استوقفتك فكرة الاختزالية السيكولوجية، واستوقفتك كذلك معالجات هؤلاء الروّاد للمشلكة اليهودية، بوصفها مشكلة سيكولوجية خالصة، فان ذلك كله قد لا يوحي لك بشبهة التنظيم الصهيوني. ولكن الامر لا يصبح غريباً، اذا ما كنّا بصدد تنظيم طابعه الأساسي هو السرية، وهو الامر الذي يستحيل ان نتلمسه في المؤلفات الفرويدية العلنية. ولكننا نجده دون عناء في الخطابات الشخصية المتبادلة بين الفرويديين خلال الاعوام الاولى للقرن العشرين، والتي لم تعرف طريقها الى النشر الّا مع خمسينيات ذلك القرن؛ وما زالت عملية النشر هذه مستمرة في اضافة الجديد، حتى ايامنا هذه.

لقد نشر فرويد، العام ١٩١٤، كتيّباً بعنوان «تاريخ حركة التحليل النفسي». ولم ترد في هذا الكتيب أية اشارة الى ذلك التنظيم الصهيوني السري الذي نحن بصدده. وكل ما اورده فرويد في كتيّبه متعلقاً بتشكيل الرابطة الدولية للتحليل النفسي هو انه «في العام ١٩٠٢ تشكّلت حولي مجموعة من اطباء شبان، كان هدفهم المعلن تعلم وممارسة ونشر التحليل النفسي... وبعد سنتين من المؤتمر الاول الخاص للمحللين النفسيين، انعقد المؤتمر الثاني في نورمبرغ هذه المرة في آذار (مارس) ١٩١٠. وفي الفترة الفاصلة ما بين هذين المؤتمرين... وازاء العداء المتزايد الذي كان يواجه به التحليل النفسي في المانيا... صمّمت مشروعاً، وافلحت، في اثناء ذلك المؤتمر الثاني، في وضعه موضع التنفيذ، بمساعدة صديقي س. فيرنزي. وكان هذا المشروع يرمي الى تزويد حركة التحليل النفسي بتنظيم... تحاشياً للتجاوزات التي يمكن ان ترتكب باسم التحليل النفسي ما ان تتوطد شعبيته... وكنت أرغب، ايضاً، في ان تقوم بين انصار التحليل النفسي علاقات صداقة وتآزر... ولهذا، وليس لأي شيء آخر، كنت أرغب في قيام الرابطة الدولية للتحليل النفسي...».

كان ذلك هو اقصى ما صرّح به فرويد علناً آنذاك. امّا ما نشر بعد ذلك بأعوام طوال، فقد كان مختلفاً تماماً. لقد قام المحلل النفسي المعروف، ارنست جونز، ابتداء من العام ١٩٥٣، بالشروع في نشر سيرة حياة فرويد. وكان جونز آنذاك هو آخر الاحياء من القيادة السرية للتنظيم الصهيوني الفرويدي. وتضمّنت تلك السيرة، التي نشرت في ثلاثة اجزاء، العديد من الخطابات المتبادلة بين فرويد وخلصائه، ومن بينهم أعضاء تلك القيادة السرية، والتي كانت تضمّ، الى جانب فرويد، كلاً من جونز وفيرنزي وساخس ورانك وابراهام، وايتنغتون الذي انضم الى تلك القيادة بعد تشكيلها بعدة أعوام.

أشار جونز الى ان بداية التفكير في تشكيل تلك القيادة السرية ترجع الى تموز (يوليو) ١٩١٢، حيث اقترح جونز على فيرنزي اقتراحاً مؤداه «... ان علينا... ان نشكّل جماعة صغيرة من المحللين الموثوق فيهم كنوع من الحرس القديم الذي يحيط بفرويد». ونوقش هذا الاقتراح، بالتفصيل،